نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيِّ

www.nokbah.com

شعبان 1433 هـ | 07 - 2012 م

قِسْمُ التَّفرِيغِ وَالنَّشرِ



سلسلة خواطر في التزكية والسلوك

الخاطرة الرابعة

القلوب الوجلة

لفضيلة الشيخ

حارث بن غازي النظاري (حفظه الله)

- إنتاج : مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي
- النوع : إصدار صوتي
- المدة : ٢٥ دقيقة
- الناشر : مركز الفجر للإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ الحلقة الرابعة من سلسلة

خواطر في التزكية والسلوك

لفضيلة الشيخ/ حارث بن غازي النظاري (حفظه الله)

الخاطرة الرابعة بعنوان: [القلوب الوجلة]

الصادرة عن مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

شعبان ١٤٣٣ هـ – ٠٧ / ٢٠١٢ م

نُخْبَةُ الإِعْلامِ الجِهَادِيِّ

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربِّ العالمين، اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، اللهم صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّد كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمَّدٍ وعلى آل محمَّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنَّك حميدٌ مجيد، أمَّا بعد؛

قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

فذَكَرَ الله تبارك وتعالى في هذه الآيات من هم المؤمنون حقًّا، قال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، فذكر الله سبحانه وتعالى أوَّل صفة وهي خشية القلوب والخوف في القلب من الله تبارك وتعالى، إذا ذُكر الله فإنَّ القلب في حالة وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ هذه الصفة الثانية، ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الصفة الثالثة، ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ﴾ أربعة، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ خمسة، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

فدائمًا يتوجَّه السؤال للنفس أسأل نفسي هل إذا ذُكِر الله قلبي في وجل؟ ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ هل عندما يُذكر الله أشعر بالخشية أشعر بالخوف أشعر بالوجل؟ هل إذا تليت آيات الله أزداد بها إيمانًا؟ هل عندي توكُّل؟ هل أنا ممن يقيم الصلاة؟ هل عندي إنفاق في سبيل الله؟ هل أنا من المتصدِّقين؟

هذه الصفات لا بدَّ أن أراعيها، يعني تلاوتي للقرآن الكريم ليست للبركة فحسب وليست للثواب فحسب وإنَّما التلاوة من أجل العمل أقرأ القرآن لأعمل به.

القصد؛ ذَكَرَ الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات صفات المؤمنين حقًّا وذكر أوَّل صفة منها وهي وجل القلوب ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ –سبحان الله انتبه مع الآية! عِشْ معي مع الآية، لا إله إلا الله!– البشارة الآن للمخبتين، هل أنا من المخبتين؟ طيب من هم هؤلاء المخبتون؟

قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ هذه صفات المخبتين.

أوَّل صفة ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فعندهم خوف، وعندهم صبر ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾، وإقام الصلاة والإنفاق من المال ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾، هؤلاء لهم البشارة الذين سمَّاهم الله سبحانه وتعالى المخبتين.

وقال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾، تريد أن تكون من السابقين إلى الخيرات من المسارعين في رضوان الله تبارك وتعالى؟ هذه صفاتهم: الخشية لله تبارك وتعالى، الإيمان بالله وبآياته، اجتناب الشرك، الإنفاق، والخشية، المسارعة في الخيرات ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

الوجل، ما هو الوجل؟ ذكر الراغب الأصفهاني في مفردات غريب القرآن قال: إنَّ الوجل استشعار الخوف وهو معروف، هذا في لغة العرب، كما في لسان العرب؛ الوجل: الفزع والخوف، يعني الوجل بمعنى الخوف.

لماذا الخوف؟ الخوف عبادة، والخوف شرطٌ للإيمان، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معنى الآية: إنَّما ذلكم الشيطان يخوفكم من أوليائه فلا تخاوفوا أولياء الشيطان وخافوا الله تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. الشاهد: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ إن كنتم مؤمنين فخافوا من الله تبارك وتعالى. فالخوف لماذا؟ لأنه شرطٌ للإيمان، ولأنَّ الله سبحانه وتعالى أثنى على الخائفين منه تبارك وتعالى، قال ربِّي جلَّ جلاله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

لماذا الخوف؟ لأنَّ الخائفين هم المنتفعون بالقرآن، قال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ...﴾ –

بالقرآن– ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، وقال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، هل نخاف من الحشر؟ هل نخاف من وعيد الله تبارك وتعالى؟ هذا سؤال لا بدَّ أن أسأله نفسي باستمرار، هل أنا ممن يخاف من الحشر وأستعدُّ له؟ هل أنا ممَّن يخاف من وعيد الله تبارك وتعالى عندما يخوفنا في القرآن هل نخاف أم تمرُّ علينا الآيات من غير خشية ولا خوف؟

قال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ هل هذه الآيات تخوِّف؟ هل أخاف من وعيد الله تبارك وتعالى؟

لماذا الخوف؟ لأنَّ الخائفين هم المعتبِرون، قال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ قال إبراهيم بن سفيان: "إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها وطرد الدنيا عنها"، فوجود الخوف في القلب يحرق الشهوات ويزيلها، ويذكرون عن ذي النون المصري أنَّه قال: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلُّوا الطريق"، يعني ضلوا الطريق إلى الله تبارك وتعالى، لكن ما دام الخوف موجود فهو يقودهم إلى الله تبارك وتعالى ويمنعهم من انتهاك المحرَّمات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى–: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله"، هناك خوف محمود وهناك خوف مذموم، الخوف المحمود الذي يثني عليه الله تبارك وتعالى في القرآن ويذكره النبي صلى الله عليه وسلم في السنَّة، وهو محمود وهو خير، هو الخوف الذي في القلب الذي يمنع أو يحجز عن ارتكاب المحرَّمات ، فقال ابن تيمية: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله".

والخوف المحمود في الكتاب والسنة أنواع:

منه: الخوف من الله مهابةً لله تبارك وتعالى، هيبةً لله تبارك وتعالى، تعظيمًا لله تبارك وتعالى. والسبيل إلى تحقيق هذا الخوف في قلوبنا هو معرفة الله تبارك وتعالى، التأمُّل في الأسماء والصفات – في صفات الله تبارك وتعالى– وهي في كتاب الله كثيرة، مثلاً صفة العلم –علم الله تبارك وتعالى–،

التأمُّل في صفة واحدة من صفات الله تبارك وتعالى أمر عظيم جدًّا يورث في القلب الكثير من الإيمان والخشية، مثلاً إذا تأمَّل الإنسان في علم الله تبارك وتعالى ومدى سعة علم الله تبارك وتعالى تندهش العقول، قال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾ لا إله إلا الله سبحانك ربي! يعني تخيَّل ورقة! لا إله إلا الله! كم الأوراق الموجودة في الأرض! سبحانك ربِّي لا إله إلا أنت! ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾، ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾ كم الإناث في الأرض؟! ليس البشر فقط، البشر والحيوانات والحشرات! لا إله إلا الله سبحانك ربِّي لا إله إلا أنت ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى﴾ ما في بطنها وما نوعه، ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاء مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ * لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾.

القصد؛ التأمُّل في أسماء الله تبارك وتعالى، والتأمُّل في أفعال الله تبارك وتعالى وفي صفاته في كتابه العزيز يورث مهابةً وتعظيمًا وإيمانًا عظيمًا، ولكن أين القلوب الواعية؟

إذن من أنواع الخوف المحمود: الخوف مهابةً وتعظيمًا لله.

النوع الثاني: الخوف من التقصير في العبودية، أنَّنا ما أدَّينا العبادة كما يحبُّ الله تبارك وتعالى، إمَّا أن نكون ضيَّعنا العبادة لم نفعلها أو لم نفعلها كما يريد الله تبارك وتعالى، وأيضًا لم نفعلها كما تنبغي في حقِّ الله تبارك وتعالى. فالخوف من التقصير في العبودية، التقصير في الطاعات، التقصير في القيام بالحقوق، التقصير في أعمال القلوب من الخشية والخوف والإخبات والشكر والصبر والتوكل والإنابة وتعظيم أمر الله تبارك وتعالى والخشية له، كثير من هذه العبادات لدينا فيها تقصير، هذا يستدعي منَّا خوف نخاف على أنفسنا، الخوف في واجبات الجوارح من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلاوة القرآن والذكر وقول التي هي أحسن، أعمال كثيرة من الجوارح لدينا فيها تقصير، والتقصير من القيام بالحقوق: حقوق الوالدين والأرحام والجيران ونصرة المستضعفين وتعليم الجاهلين والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والرباط والخدمة و... و...، أعمال كثيرة لدينا فيها تقصير لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا يستدعي منَّا خوف، نخاف من الله تبارك وتعالى أنَّنا قصَّرنا في عبوديته –لا حول ولا قوة إلا بالله–.

ومن أنواع الخوف المحمود، الخوف من التقصير في شكر النعم، يعني الطاعات ما قمنا بها ولا أدَّينا شكر النعم التي أمر الله تبارك وتعالى أن نشكره عليها.

طيب اسمع معي هذا الحديث لو سمحت: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أول من يُسأل عنه يوم القيامة –يعني العبد– من النعيم أن يقال له ألم نصحَّ لك جسدك؟ ونرويك من الماء البارد؟". الحديث في مشكاة المصابيح، وقال الألباني بأنَّه حديث صحيح.

"ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد؟" –لا إله إلا الله– فالنعم كثيرة جدًا ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ ، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

يا أخي نحن بحاجة إلى وقت ولو يسير للتأمل في نعم الله تبارك وتعالى علينا وثناء الله تبارك وتعالى والاعتراف بالمِنَّة من الله تبارك وتعالى، تحتاج إلى تأمُّل، يعني كثير من النعم أعطانا الله تبارك وتعالى من غير استحقاق وأعطانا تبارك وتعالى من غير مشورة، وكما أنَّ الله سبحانه وتعالى أعطاها من غير استحقاق ومن غير مشورة قد يأخذها منَّا من غير إعلام ولا موعد مسبق، أعطاك الله سبحانه وتعالى نعمة النظر، يأخذها متى شاء، وكم أخذ الله تبارك وتعالى من أبصار كثيرٍ من الخلق ما كانوا يتصوَّرون يومًا من الدهر أن يُذهِب الله تبارك وتعالى نور أبصارهم، وكثير كثير من النعم.

"ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد؟" ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾.

ومن أنواع الخوف المحمود: الخوف من عدم قبول الطاعة، عملنا الطاعات وأدَّينا الطاعات لكن نخشى أن تكون غير مقبولة.

جاء في مسند الإمام أحمد، وهو عند الترمذي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: "لا يا ابنة الصديق؛ ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدَّق ويخاف أن لا يُقبل منه".

قال الحسن البصري: "عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن تردَّ عليهم، إنَّ المؤمن

جمع إحسانًا وخشية، والمنافق جمع إساءةً وأمنًا".

ومن الخوف المحمود: الخوف من العقوبة على الذنوب، وقد أذنبنا ذنوبًا كثيرة، ما منَّا إلا وهو مذنب، وقد قال ربِّي تبارك وتعالى كما في الحديث القدسي: "يا عبادِ إنّكم تخطؤون بالليل والنهار"، نعم نحن نذنب في الليل والنهار والله سبحانه وتعالى يستر علينا، والله تبارك وتعالى يحلم علينا، ولكن نخشى من العقوبة، وأشدُّ العقوبة أن تكون العقوبة يوم القيامة والعياذ بالله، فلدينا ذنوب كثيرة تحتاج إلى توبة وإلى استغفار وأن نبقى على حذر وعلى خوف.

من الخوف المحمود: الخوف من الخذلان، أن يخذلنا الله تبارك وتعالى، قال ابن القيم –رحمه الله–: "أجمع العارفون على أنَّ كل خيرٍ أصله توفيق الله للعبد وكل شرٍّ أصله خذلانه للعبد، وأجمعوا على أنَّ التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأنَّ الخذلان هو أن يخلِّي بينك وبين نفسك"، ثم قال ابن القيم –رحمه الله–: "توفيق الله للعبد أن يجعله جامعًا لصفات" يعني هل أنا في توفيقٍ من الله تبارك وتعالى أو أنا في خذلان؟ هل أنا إنسان موفَّق أم أنا إنسان مخذول؟ كيف أعرف أنِّي موفَّق أو أنِّي مخذول؟ مجموعة صفات:

١– الموفَّق يحبُّ ما يحبُّه الله تبارك وتعالى، يحبُّ الطاعات ويستقذر المعاصي، المعاصي عنده قذرة، لكنه يحبُّ الطاعة يشتاق إليها، هل أنا أحبُّ الطاعة وأستقذر المعصية؟ فالإنسان الموفَّق يحبُّ ما يحبُّه الله تبارك وتعالى، هذا واحد.

٢– يريد ما يريده الله تبارك وتعالى، لا يكفي فقط المحبَّة لأنَّ الإنسان قد يحبُّ الأمر ولا يريده، يعرف أنَّ الإخلاص والطاعة والجهاد أمر طيب لكنه لا يريد أن يكون من هذا الصنف، محبًّا لما يحبُّه الله تبارك وتعالى مريدًا لما يريده الله تبارك وتعالى.

٣– قادرًا على فعل ما يرضي الله تبارك وتعالى، لأنَّ الإنسان قد يجمع محبة وإرادة ولكنه غير قادر عاجز، فهذا ليس له من التوفيق التمام، إذن محبة وإرادة وقدرة على الفعل.

٤– ثمَّ أن يكون مُؤثِرًا الطاعة على غيرها، قد تزدحم الإرادات يريد الدنيا ويريد الآخرة، يريد الطاعة ويريد بعض المباحات، فعندما يحصل عنده ازدحام ماذا يُؤثِر؟ يُؤثِر ما عند الله تبارك وتعالى والدار الآخرة أم أنَّه يركن إلى الدنيا؟ الإنسان الموفَّق يُؤثِر ما عند الله تبارك وتعالى، هذا الرابع.

٥– يبغض ما يسخطه الله تبارك وتعالى ويكرهه، الأشياء التي يكرهها الله سبحانه وتعالى ويبغضها

هو يزهد فيها بل يكرهها ويمقتها، فيكره الآثام والمعاصي.

إذن هذه خمس: محبًّا لما يحبُّه الله تبارك وتعالى، مريدًا لما يريده الله تبارك وتعالى، قادرًا على فعل ما يرضي الله تبارك وتعالى، مؤثِرًا للطاعة، مبغضًا للمعصية. إذا اجتمعت هذه الخمس في عبد فهو موفَّق وإلا فهو مخذول، يعني إذا أنا أحببت المعصية فأنا مخذول، إذا أنا أردت المعصية فأنا مخذول، إذا كنت عاجزًا عن فعل الطاعة فعندي من الخذلان، إذا لم أُوثِر رضوان الله تبارك وتعالى والدار الآخرة وما عند الله فأنا إنسان مخذول، إذا اشتقتُ للمعاصي والآثام ورغبتُ فيها فأنا إنسان مخذول والعياذ بالله.

لا؛ لا أريد أن أكون مخذولاً، أريد أن أكون عبدًا موفَّقًا، السبيل إلى ذلك ما هو؟ الله، أن أدعو الله تبارك وتعالى، أن أبتهل إليه، أن أتوكَّل عليه، صدق اللجوء إلى الله تبارك وتعالى، هذا هو السبيل الوحيد لتوفيق الله تبارك وتعالى، ما هو؟ صدق اللجوء إلى الله تبارك وتعالى.

لذلك قال ربِّي تبارك وتعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾، فالتحبيب والتكريه والتبغيض هو من الله تبارك وتعالى، هو ربِّي تبارك وتعالى الذي يملك هذا الأمر، وقلبي في يد الله تبارك وتعالى يصرِّفه كيف يشاء ويقلِّبه كيف يشاء، ليس بمجهودي وليس باجتهادي وليس بتضحيتي وليس ببذلي، وإنَّما الله تبارك وتعالى هو الذي وفَّقني، الله تبارك وتعالى هو الذي يحبِّب إليَّ الطاعة، أسأل الله تبارك وتعالى: يا ربِّ حبِّب لي الإيمان، يا ربِّ زيِّنه في قلبي، يا ربِّ بغِّض إليَّ المعاصي والآثام والكفر. فالسبيل الوحيد هو صدق الالتجاء إلى الله تبارك وتعالى.

ثمَّ أخيرًا، من أنواع الخوف المحمود، هو الخوف من سوء الخاتمة، قد يكون الإنسان بدايته الصلاح والخير ثم يُختم له والعياذ بالله بالسوء.

والحديث أخرجه البخاري ومسلم، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "فوالذي لا إله غيره إنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها".

الأمر الأخير؛ وهو جزاء الخائفين، ما جزاء الخائفين من الله تبارك وتعالى الذين جمعوا هذه

الصفات من الخوف المحمود؟

لهم جزاء في الدنيا وفي الآخرة، أمَّا جزاء الخائفين في الدنيا فقال ربِّي تبارك وتعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ).

وجزاء الخائفين في الآخرة ما هو؟ عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "قال الله عزَّ وجلَّ وعِزَّتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين؛ إن أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه العباد، وإن خافني في الدنيا أمَّنته يوم أجمع فيه العباد" أخرجه أبو نعيم في الحلية، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة أنَّه حديثٌ صحيح.

جزاء الخائفين في الآخرة، قال الله تبارك وتعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) الثواب هي الجنة، لا ليست الجنَّة فحسب بل أخبر ربِّي تبارك وتعالى: (جَنَّتَانِ)، قال ربِّي تبارك وتعالى: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من وَرَثَةِ جنَّة النعيم، آمين اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

www.nokbah.com